

{ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } * { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ } * { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ }
(3-1)

يقول الحق جلّ جلاله: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } أي: الخير الكثير، من شرف النبوة الجامعة لخير الدارين، والرئاسة العامة، وسعادة الدنيا والآخرة، " فَوَعَل " من الكثرة، وقيل: هو نهر في الجنة، أحلى من العسل، وأشدّ بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، حافظه: اللؤلؤ والبرجد، وأوانيه من فضةٍ عدد نجوم السماء، لا يظماً من شرب منه أبداً، وأول وارديه: فقراء المهاجرين، الدنسو الثياب، الشعث الرؤوس، الذي لا يتزوَّجون المنعمات، ولا يفتح لهم أبواب الشُّدد. أي: أبواب الملوك. لخمولهم، يموت أحدهم وحاجته تلجلج في صدره، لو أقسم على الله لأبره. هـ.

وفسّره ابن عباس بالخير الكثير، فقيل له: إنَّ الناس يقولون: هو نهر في الجنة، فقال: النهر من ذلك الخير، وقيل: هو: كثرة أولاده وأتباعه، أو علماء أمته، أو: القرآن الحاوي لخيري الدنيا والدين.

رؤي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يارب اتخذ إبراهيم خليلاً، وموسى
كليماً، فبماذا خصصتني؟ " فترلت:

{ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) }

[الضحى:6]، فلم يكتفِ بذلك، فنزلت: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } فلم يكتفِ بذلك،

وَحَقُّ لَهُ أَلَّا يَكْتَفِي؛ لِأَنَّ الْقِنَاعَةَ مِنَ اللَّهِ حَرَمَانَ، وَالرُّكُونَ إِلَى الْحَالِ يَقْطَعُ الْمَزِيدَ، فَتَرَى جَبْرِيْلًا، وَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْرَأُ بِكِتَابِ السَّلَامِ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنْ كُنْتُ اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيْلًا، وَمُوسَى كَلِيْمًا، فَقَدْ اتَّخَذْتُكَ حَبِيْبًا، فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَخْتَارِنِ حَبِيْبِي عَلَى خَلِيْلِي وَكَلِيْمِي، فَسَكَنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والفَاءُ فِي قَوْلِهِ: { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ } لِتَرْتِيبِ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، فَإِنَّ إِعْطَاءَهُ تَعَالَى إِيَّاهُ . عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . مَا ذَكَرَ مِنَ الْعَطِيَّةِ الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا وَلَنْ يُعْطِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، مُسْتَوْجِبَةٌ لِلْمَأْمُورِ بِهِ أَيُّ اسْتِجَابٍ، أَيُّ: فَذُمَّ عَلَى الصَّلَاةِ لِرَبِّكَ، الَّذِي أَفْضَلُ عَلَيْكَ هَذِهِ النِّعَمَ الْجَلِيلَةَ، الَّتِي لَا تُضَاهِيهَا نِعْمَةٌ، خَالِصًا لَوَجْهِهِ، خِلَافًا لِلْسَاهِينَ الْمَرَاتِينَ فِيهَا، لِتَقْوَمَ بِحَقِّ شُكْرِهَا، فَإِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ أَقْسَامِ الشُّكْرِ. { وَأَنْحَرْ { الْبُدْنَ، الَّتِي هِيَ خِيَارُ أَمْوَالِ الْعَرَبِ، وَتَصَدَّقُ عَلَى الْمَحَاوِجِ، خِلَافًا لِمَنْ يَدَعُهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ وَيَمْنَعُ عَنْهُمْ الْمَاعُونَ، وَعَنْ عَطِيَّةٍ: هِيَ صَلَاةُ الْفَجْرِ بِجَمْعٍ، وَالنَّحْرُ بِمَعْنَى، وَقِيلَ: صَلَاةُ الْعِيدِ وَالضَّحِيَّةِ، وَقِيلَ: هِيَ جِنْسُ الصَّلَاةِ، وَالنَّحْرُ وَضَعُ الْيَمِينِ عَلَى الشَّمَالِ تَحْتَ نَحْرِهِ. وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ فِي التَّكْبِيرِ إِلَى نَحْرِهِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ بِنَحْرِكَ، أَيُّ: فِي الصَّلَاةِ. وَقَالَ الْفَرَاءُ وَالْكَلْبِيُّ.

{ إِنَّ شَأْنَيْكَ } أَيُّ: مُبْغِضُكَ كَأَنَّكَ مَنْ كَانَ { هُوَ الْأَبْتَرُ } الَّذِي لَا عَقْبَ لَهُ، حَيْثُ لَمْ يَبْقَ لَهُ نَسْلٌ، وَلَا حُسْنُ ذِكْرٍ، وَأَمَّا أَنْتَ فَتَبْقَى ذُرِّيَّتَكَ، وَحُسْنُ صَيْتِكَ، وَآثَارُ فَضْلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يُوَلَّدُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُمْ أَوْلَادُكَ وَأَعْقَابُكَ، وَذِكْرُكَ مَرْفُوعٌ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ عَالَمٍ وَذَاكَرُكَ، إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، يَبْدَأُ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَيُثْنِي

بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان، فمثلك لا يقال فيه أبت، إنما الأبت
شانتك المنسي في الدنيا والآخرة.

قيل: نزلت في العاص بن وائل، كان يُسَمِّي النبيَّ صلى الله عليه وسلم حين مات ابنه
" عبد الله " : أبت، ووقف مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له: مع مَنْ كنت واقفاً؟
فقال: مع ذلك الأبت، وكذلك سمته قريش أبت وصنبوراً، ولما قَدِمَ كعب بن الأشرف .
لعنه الله . لمكة، يُحْرِضُ قريشاً عليه صلى الله عليه وسلم قالوا له: نحن أهل السِّقَايَةِ
والسِّدَّانَةِ، وأنت سيِّدُ أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصنبور المُنْبِتِ من قومه؟ فقال:
أنتم خير، فنزلت في كعب:

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجُبَّتِ وَالطَّاغُوتِ .. }

[النساء: 51]، الآية، ونزلت فيهم: { إن شانتك هو الأبت } .

الإشارة: يُقال لخليفة الرسول، الذي تَخَلَّقَ بِحُلُقِهِ، وكان على قدمه: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
الكوثر: الخير الكثير، لأنَّ مَنْ ظَفَرَ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ فَقَدْ حَازَ الْخَيْرَ كُلَّهُ " ماذا فقد مَنْ
وجدك " فَصَلِّ لِرَبِّكَ صَلَاةَ الْقُلُوبِ، وانحر نفسك وهواك، إنَّ شانتك ومُبغضك هو
الأبت، وأمَّا أنت فذكرك دائم، وحياتك لا تنقطع، لأنَّ موت أهل التُّقَى حياة لا فناء
بعدها. وقال الجنيد: إن شانتك هو الأبت، إي: المنقطع عن بلوغ أمله فيك. هـ.
وصلَّى الله على سيدنا محمد، وآله.